الكتاب الجديد

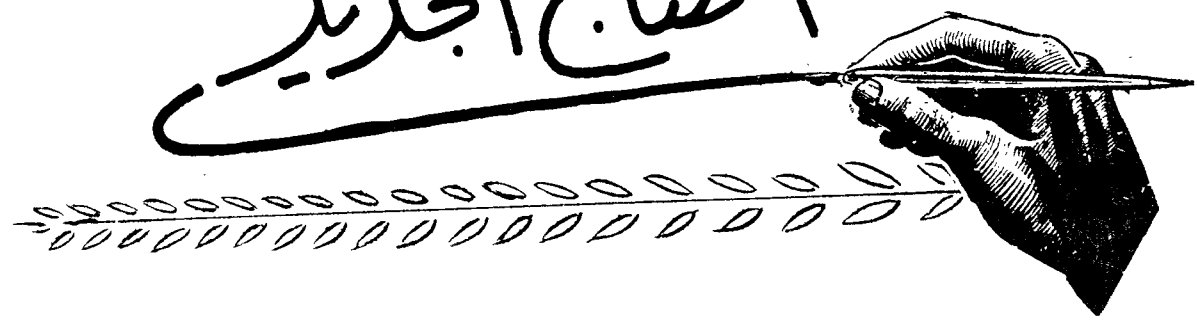

مع الفجر العربي

تأليف سعد صائب

٢٠٢ صفحة من الحجم الكبير ـ طبع مطبعة الترقي بدمشق

*

هذا كتاب عربي خالص ، واعني ان الصفة البارزة فيه هي هذه الروح القومية العربية الصافية التي تهدر في جنباته وتتفجر صاخبة مدوية تنطق بمعاني الفداء والاخلاص . واعتقد ان المؤلف الذي ادلى بصوته في استفتاء الوحدة السورية المصرية ، على ما قيل لي ، بنقطة من دمه اسالها من اصبعه على ورقة الاستفتاء ، قد سطر هذا الكتاب بمثل هذا المداد الوطني الامين . ويشعر القاريء بأن هذه الوطنية الجامحة التي كتب بها هذا الكتاب تكاد في معظم الاحيان تسبق قلم المؤلف .

وموضوع الكتاب هو النقد ، وعلى وجه التحديد ، نقد النتاج العربي في الادب القومي . وأعتقد انه عبارة عن مجموعة مقالات حول هذا الموضوع نشرت في الصحف ، ولو أن مؤلفه لم يوضح هذا الموضوع في مقدمة يقدمه بها ، كما انه استخدم صيغة التسلسل في مطالع الابحاث ونحوها ليضفي روح الوحدة على مضمون الكتاب .

وأظن ان ما أسلفته هنا كاف للايحاء الى ذهن القاريء بالمأخذ الرئيسي على الكتاب . فلقد جمع المؤلف بين عاطفة جارفة هي العاطفة الوطنية،وبين موضوع النقد على صعيد واحد ، بحيث ترك هذه العاطفة تسيطر لا على قلمه فقط بل ايضا على تفكيره ، الذي طغت عليه بعنف حتى احالته مجرد اداة للوصف الشعري ونقل الافكار ، مبتعدة به عن ميدان المناقشة ، الذي يفرض فيه ان يكون هو ميدان النقد . فأنت ترى كيف ان هذا الجمع لم يكن موفقا ، وانه كان من الاجدر الحفاظ على طابع الموضوعية الفكرية في العمل الادبي لا بل النقدي بنوع خاص ، وجعل السيطرة فيه للفكر لا للعاطفة ، او بتعبير اخر ، لجم العاطفة ليتكلم الفكر ، وليس العكس ، والا خرج هذا العمل عن صفته الجوهرية ، ليلتقي بأغراض الصحافة اليومية من « ريبورتاجات » وتلخيصات وتعليقات انشائية تصويرية .

واستدرك هنا لاوضح ان الموضوعية الفكرية اذ تحتم سيطرة الفكر على العاطفة ، لا تلغي وجود هذه العاطفة بل تحتفظ بها سالمة كاملة بصورة ضمنية ، وذلك على اعتبار ان ابراز هذه العاطفة ، واعني العاطفة القومية، امر غير ذي موضوع لدى الباحث ، لان وجودها هو شأن مفروغ منه بالبداهة ، خصوصا وانه في الاصل ، هو الباعث الاساسي لكتابة البحث او قراءته . أضف الى هذا ان الموضوعية الفكرية تخدم القضية القومية عن طريق الاقناع العقلي الذي يؤدي بدوره الى خلق العاطفة القومية او التأييد لدى القاريء اكثر مما يخدمها ابراز العاطفة القومية في مجال البحث الفكري .

ولقد تناول المؤلف في هذا الكتاب بعض الكتب والمحاضرات التي ظهرت او القيت في المدة الاخيرة ، وكان من بينها كتاب « فلسفة الثورة » للرئيس جمال عبد الناصر ، وكتاب « اراء واحاديث في القومية العربية» لساطع الحصري ، وكتاب « نحو عالم عربي أفضل » الذي يضم ثلاث محاضرات اشترك في القائها ببيروت قسطنطين زريق ونازك الملائكة واحمد السمان ، وكتاب « الحياة والشباب » لواصف البارودي ، وكتاب « وعي المستقبل » لقدري حافظ طوقان . ولا يخفى ما تمتاز به هذه الكتب من قيمة علمية ثمينة . ولكني تابعت كلام المؤلف باخلاص باحثا من خلال عرضه ونقده عنه ... عن العنصر الشخصي الذي يعود اليه ، فلم استطع العثور عليه • ولكي اكون امينا في قولي ، لقد وجدته متمثلا في عاطفته القومية المتأججة ، ووجدته في طريقة عرضه « الريبورتاجي » ـ اذا شئت ـ الموفقة ، ووجدته في مقدماته وتعليقاته الشعرية ، ولكني استميحه عذرا اذا قلت اني لم اجده كناقد او باحث . فهو لم يقدم رأيا جديدا ، كما انه لم يناقش اية فكرة من افكار من تناولهم بالنقد ، وانما اكتفى بعرض هذه الافكار متبدئا ومنتهيا بالتقريظ الذي ذهب فيه على الدوام الى حد الاعجاب .

وقد نقول انه لم يتكلم الا عن كتابات من يؤيدهم ، ولذلك لم يظهر اي خلاف في الرأي . ولكن هذا الكلام مردود ، ففضلا عن ان الخلاف ليس وحده مبعث النقاش ، ليس من المعقول ان لا يصادف فكرة ما مخالفة لتفكيره ، او فكرة ناقصة تحتاج الى اكمال ، او فكرة مغالية تحتاج الى تعديل ، او فكرة غامضة تحتاج الى ايضاح وما الى ذلك . ولو سلمنا جدلا بان المؤلف لم يصادف شيئا من هذا على الاطلاق ، فما معنى كتابة هذا ، ما دامت الكتب التي يتكلم عنها موجودة في المكتبات تحت تصرف القراء ؟

لذا بت ارى اني اذا رمت نقد هذا الكتاب نقدا مفصلا ، كان علي ان أقوم بنقد جميع الكتب التي تناولها المؤلف ولم ينقدها ، أي ان أقوم بالعمل الذي رسمه هو لنفسه ، وذلك ما يستغرق كتابا جديدا ، غير ان هذا العمل لن يكون نقدا للكتاب اياه ، وبذلك أكون قد خرجت عن موضوعي هنا.

ولكي أعطي فكرة عن كيفية مرور المؤلف بالكلام الجدير بالمناقشة مرور الكرام ، اورد على سبيل المثال شرحه لرأي الشاعرة نازك الملائكة في الاخلاق فقد قال في الصفحة ٥٣ على لسان الشاعرة نازك الملائكة بعد ان ذكر انها لاحظت مظهرين للاخلاق في البلاد العربية :

« واما المظهر الثاني لاخلاقنا ، فهو اسلوبنا في النظر الى قضايا الاخلاق، وهو اسلوب يستند الى الاعتقاد بان للاخلاق مقياسا لا تغيره العصور ، ولا البيئات ، لانه نهائي ، ولانه غاية نفسه ، لذلك ظلت الاخلاق التي تدين بها اخلاقا سكونية سالبة ـ على حد قول المحاضرة ـ تتخذ نقطة ارتكازها في المظهر لا في الفعل . فليس بعدك عن السرقة يعني انك نزيه ، ولا امتناعك عن الكذب يعني انك صادق ، ولا تحملك المكاره يدل على انك صبور ، فتلك اخلاق سلبية ، لا يكلفك التخلق بها جهدا رائعا تبذله لخير المجموع ، وهي بالتالي اعتبارات لا تنطوي على فعل ، بل تستند الى امتناع ، وليست لها فائدة ايجابية للحياة ، لان المضمون الفلسفي للخير « يجب ان يشمل اداء عمل يفيد الانسانية ، ويضيف الى جمال الحياة وخصوبة الارض ، ويشق للنوع البشري طرقا جديدة الى الامام » ولهذا فان ما يحتاج اليه مجتمعنا في رأي المحاضرة هو توسيع دائرة اعتباراته، فيدخل الاخلاق الايجابية في دائرة الضرورات ، وينحي الاخلاق السكونية عن المركز !. .»

فاولا ، بما ان المحاضرة تعني بالاخلاق المفهوم الاجنبي La Morale نظرا للامثلة التي توردها ، ليس من المعقول ان نتصور الاخلاق بغير مقياس ثابت ومطلق ، والا اصبحت الاخلاق نسبية وفقدت معناها .

ثم ان الامتناع عن الرذيلة ليس خلقا سالبا، لان الامتناع ذاته عمل ارادي بكامل معنى الكلمة ، وهو ايجابي كل الايجاب . وماذا يكون المبتعد عن السرقة الا ان يكون نزيها ، والممتنع عن الكذب الا ان يكون صادقا ، والمتحمل للمكاره الا ان يكون صبورا ؟

ثم ان ما تعتقد المحاضرة انه المضمون الفلسفي للخير ليس في الواقع كامل هذا المضمون ، كما انه ليس الجانب الايجابي الذي يقابل جانبا اخر سلبيا من الاخلاق ، وانما هو خلق من جملة تلك الاخلاق ، وقيمة روحية من جملة تلك القيم التي تكلمت عنها .

وفوق هذا ، وهذا هو الاهم ، تفترض المحاضرة في قولها هذا وجود هذه الاخلاق في مجتمعنا ، مع ان اول ما يفتقر اليه مجتمعنا هو هذه الاخلاق بالذات : فكثرة الكذب هو الصفة الاولى التي يعيرنا بها الاجانب، في حين ان الكذب مهما يكن تافها يعتبر في المجتمعات الراقية عارا كبيرا . والسرقة بانواعها الجمة معروف امرها عندنا لدى الجميع . واما تحمل المكاره فهو آخر ما نستطيع ان نعثر عليه في تاريخ مجتمعنا المعاصر . واحرى بنا ان ندعو الى ايجاد هذه الاخلاق، واذا وجدت يجدر بنا ان ندعو الى تعزيزها بدلا من « تنحيتها عن المركز » في سبيل مطالبتنا باخلاق اخرى هي في الواقع من نتائج هذه الاخلاق بالذات ، او بعبارة اخرى هي استمرار لها ، ولا تختلف عنها من حيث الايجاب والسلب الا اذا اتخذنا لتعبيرنا لغة الشعر والخيال .

أما المؤلف ، فالشيء الوحيد الذي علق به على هذا الكلام وغيره من أقوال المحاضرة قوله في الصفحة ٥٥ : « هذه هي ازماتنا ومشاكلنا الاجتماعية بما فيها من تعقد ودقة ، صورتها الشاعرة « نازك الملائكة » في محاضرتها اصدق تصوير وابرعه ، لانها فهمتها على حقيقتها ، ووعت متضمناتها ، وقبضت على اصول الشدة التي تعانيها من جرائها . فكانت موفقة ابعد ما يكون التوفيق ، برهنت على تفاعل حي بين واقعها وفكرها ... الخ »

ذلك هو انطباعي عن كتاب « مع الفجر العربي » نقلته بصراحة أرجو ان تشفع بي لدى المؤلف ليتقبله بصدر رحب . وليس يفوتني في هذا المجال ان انوه بما للكتاب من قيمة قومية ممتازة من حيث بث الشعور القومي العارم وشرح آراء بعض الباحثين في الشؤون العربية .

محمد وهبي

جميلة

احدى عشرة قصيدة

دار الفكر ـ القاهرة

*

صدرت في القاهرة اخيرا ـ عن دار الفكر ـ مجموعة شعر بعنوان : « جميلة » ، ضمت عشر قصائد مختلفة لعشرة شعراء ، بالاضافة الى قصيدة مستقلة عن المجموعة لكمال عبد الحليم .. .

.. والموضوع هو مأساة « جميلة بو حيرد » الجزائرية المناضلة التي حكم عليها الاستعمار بالموت ، وراحوا يسقونها كؤوس العذاب منوعة قاسية ، وحاولوا معها كافة المحاولات الشريفة منها وغير الشريفة لكي يحصلوا على نصر ، ولكنهم فشلوا ، وبقي تنفيذ الحكم .

وكما صاحت الملايين في مختلف بلاد العالم يوم حكم بالموت على الزوجين روزنبرج ، وكما صاحت هذه الملايين ايضا عام ١٩٥٠ تطالب بالافراج عن ناظم حكمت .. هكذا ايضا تحركت الملايين حتى في فرنسا نفسها ... ونجحت الصيحات وانتصر الرأي العام العالمي .. وتأجل تنفيذ الحكم ..

.. ورغم صغر حجم هذا الديوان ، خرجت منه بنتائج ثلاث . وقبل ان اورد هذه النتائج الثلاث يحق لي ان اذكر اسماء الشعراء العشرة الذين اسهموا في المجموعة وهم : احمد حجازي ، حسن فتح الباب ، صلاح جاهين، صلاح عبد الصبور ، عبد الرحمن الشرقاوي ، عبده عثمان ، فؤاد حداد ، محمد الجيار ، محمود عبد الرحيم ، عادل قرة شولى .. وواضح ان معظمهم يعرفه قراء الاداب .

اعود بعد هذا الى النتائج التي اشرت اليها فالخصها فيما يأتي:

ـ اولا: لا زلت اومن بان التمثل السريع للمناسبة او التجربة لا ينتج ابداعا ناضجا ، وعى التجربة وشملها ، تماما كما حدث في معظم انتاج معركة بور سعيد .. وهذا التمثل السريع ايضا لمأساة جميلة هو الذي جعل معظم اشعار هذه المجموعة سريعة غير ناضجة ، وتبعا غرقت في التصميم والتجريد والتقرير ، وهذا ما حدث بالنسبة للقصائد : « لن تصلب الشمس في الجزائر لحسن فتح الباب ، « جميلة علم وهران » لصلاح عبد الصبور، « دمعة على جميلة » لعبده عثمان ، « مذكرات جميلة » لمحمد الجيار ، واخيرا القصيدة المستقلة لكمال عبد الحليم وهي بعنوان : «الرسالة»

ثانيا : يترتب على التمثل السريع وقوع الشاعر في الاخطاء والتناقضات وهذا ايضا ما نتبنيه في قصائد الديوان ..

في قصيدة « جميلة قديسة » لاحمد حجازي هذه الابيات :

لم تتحسس صدرها
حين اغتنى وصار رمانا
ولم تكلم في امور الحب انسانا

هنا ينفي الشاعر تفكير جميلة في مسائل الحب ، ورغم بعد هذه الابيات عن الواقع الى حد ما فاننا نجد الشاعر في نهاية القصيدة يقع في التناقض حينما يقول :

لكن ترى من غيرها يقول
اهواك يا ياسين

ثم يقع الشاعر في خطأ اخر .. يقول

كان اسمها جميلة
أفديه من سمى

وهنا استعمل الفعل الماضي « كان » وكرره بعد هذا فكأنه تمثل جميلة في الماضي.. فيما وراء هذا العالم .. في حين ان جميلة لا زالت تعيش .. وقد يكون الفعل الماضي هنا ضروريا « لاسطرة » التجربة وهنا ايضا لا نوافق الشاعر على ان جميلة اسطورة .

ونتيجة للتمثل السريع ايضا يقول الشاعر في وصف جميلة :

والعين عين ساحرة او
كانما اصطادت رموشها الطويله
من السماء نجما

واتساءل ما فائدة هذه الصور في بناء القصيدة ووحدتها ؟ اما في قصيدة « مذكرات جميلة » لمحمد الجيار فاناقش مفهوم المذكرات في الشعر ـ مع ترك ما في القصيدة من تقرير مثل :

انا فوق شفاه الالاف
صرخات نادت بالثوره
انا مشعل في ليل الاحرار

.. الذي تعنيه المذكرات عادة هو انعكاس صاحبها ، ظروفه ومكوناته، في زمن معين ، على ما يصلنا من اوراق .. فعند ما تكتب جميلة مذكراتها في الزمن الذي حدده الشاعر ، فاننا سنحسها ونتحرك معها . اما هنا في القصيدة فنلمس تدخل الشاعر في مذكرات جميلة ... انا الح الشاعر كثيرا في القصيدة بينما تتوارى جميلة لتفسح له مكانا اراده هو ...

ولهذا لا اعتقد ان يكتب الشاعر او القاص مذكرات لانسان اخر فلا تخلو من اغراب وابتعاد عن الواقع ..

.. والقصيدة الاخيرة لعادل قره شولى تحمل معها جوا غريبا كله « آه » ، و « ياويلتاه » «واحسرتاه» حتى في المواقف التي لا تتحمل مثل هذه الاهات والتحسرات والندب .. يقول :

طائري يحمل منا باقة الاشواق
طائري لا يعرف الاخفاق
انما واحسرتاه
جنحه مكسور

... هنا لا ادري ضرورة « واحسرتاه » !

ويبدو لي في بعض قصائد المجموعة ان ثمة احساسا لدى الشعراء بنهاية جميلة ، فتوقعوا ان ينفذ الحكم في يومه الذي نقضته الملايين.. على ان هذا كله لا ينفى ان قصيدة « فلتعيشي يا جميلة » للشرقاوي رغم انها حفلت بالخطابية احيانا هي اقرب قصائد الديوان الى الشمول والنضج . فقد نجح الشرقاوي في تصوير جو المأساة متمثلا تاريخ فرنسا وانتفاضات ثوارها في فالمى والكومون ، وراية الثورة التي تهاوى رمزها ، وضياع فالمى في بور سعيد .. هذا الجو العام يعكسه الشرقاوي خلال الجو الخاص .. جو جميلة .. وهذا الجوهر يصوره خلال الظاهرة المتعينة . ومن هنا تنجح التجربة ..

ثالثا : تبين لي انه في الزمن القصير المحدود بابعاد قصيرة يكون الشكل الشعبي للعمل الفني اقدر على تمثل التجربة واستيعابها الى حد ما وبشكل لا يستطيعه الشعر .. ولهذا نجحت تجارب جاهين وحداد وعبد الرحيم هذا وان كانت تجربة جاهين : « اللي جرى لجميلة » اكثر الثلاثة نضجا وشمولا ..

.. اعود فأقول ان التمثل السريع للامور ليس يعني شيئا سوى الضرر .. ان التمثل السريع هو الذي يؤدي الى التقرير والصنعة والخطابية والتجريد وكافة امراض القصيدة الجديدة ..

القاهرة — **علي شلش**

ذات العماد

تأليف : امين نخله

منشورات دار الكتب بيروت ـ ١٧٦ صفحة

*

اذ تقرأ « ذات العماد » لا يمكنك ان تصدق بأنك تقرأ للاديب التقدمي المعروف الذي كان يسأل ، وهو طريح الفراش ، عن اخبار الجمهورية العربية المتحدة ، ويمتص من نسائم الاخبار المفرحة رحيق دواء اكثر انعاشا للنفس وأقوى وأدفع للعزيمة من عقاقير الصيدلي ... اذ تقرأ « ذات العماد » تنسى صورة امين نخله الاديب الريفي وينتقل بك الخيال الى توماس تراهيرن لتعيش معه في « عصور من التأمل » وتقرأ : « لاح كل شيء جديدا وغريبا لاول مرة ، نادرا ومغبطا وجميلا بكيفية لا توصف .. ولاح لي انني كنت مدعوا الى حفل تعرض فيه اعمال الله بكامل عظمتها وفخامتها ، وقد رأيت ذلك كله وسط سلام يشبه سلام جنة عدن ... كانت الذرة شرقية ، وكانت الحنطة خالدة ، ولم تكن لتحصد ، وما كانت مبذورة قط ! اما غبار الشوارع وأحجارها فقد كانت من الذهب الخالص.. وكان الشبان ملائكة براقة متألقة ، وكانت الفتيات قطعا غريبة طيفية من الحياة والجمال ... »

لا بل امين نخلة في « ذات العماد » كان ابعد في التصورات الخيالية الكسول من تراهيرن في « عصور من التأمل » . اذ كل حديثه عن الذهب والياقوت والزبرجد والفضة في هذا العصر الذي انسى الكاتب نفسه رنة الذهب ... ولقد قرأ الاستاذ نخلة حديثا لياقوت « الحموي » عن « ذات العماد » ، وكان الحديث ذاته ، على ايجازه ، من الروعة الادبية والبريق والتلألؤ والتماسك الجمالي والتناسق الخيالي ، مما يدفع المرء لان ينسى « معجم البلدان » بين يديه ويجول ، وهو بين ثنايا الفراش واللحاف ، بين ارجاء ذات العماد ، هذه الجنة التي فاقت جنة القرآن

وجنة ابي العلاء روعة وجلالا وبرودة احجار كريمة . وماذا سوف يرى اذ يجول ؟ انه سوف يرى كل شيء حتى النبات والانهار والبيوت ، مصوغة من الذهب والفضة والدر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران والجواهر والزبرجد والعقيق ، ولسوف يرى الانهار والسواقي مطلية بالذهب الاحمر ، وسيدهشه ان يرى حصى الانهار من انواع الجواهر : الاحمر والاصفر والاخضر ... حتى سور المدينة الهائل كان مفضضا من خارجه ، ومطليا من داخله بأنواع اليواقيت وظرائف الجواهر .

وما هي مشاغل زائر ذات العماد ؟ انها مشاغل عقلية راقية جدا ! أرأيت الى صفاء الكريستال ؟ أرأيت الى احاديث المتفرغين عن كل هم أو شاغل حياتي؟ ان الاستاذ نخلة اذ يزور ذات العماد يسرع لطرق ابواب الذين يصح فيهم قول الشاعر :

ما فيه لو ولا ليت ، فتنقصه وانما ادركته حرفة الادب

ليقوم ما قام به ابن القارح في جنة الغفران : يسائل كل شاعر وأديب اسئلة في حرفة الادب وقواعد الكتابة وأصول النحو ومبادىء اللغة ، ويجعل يبادلهم النكات والامازيح ... على ان لا مجال للمقارنة بين رسالة الغفران وذات العماد ، فالاستاذ امين نخله لم يستطع في كتابه هذا ان يحلق الى مستوى الاعجاز الا في امر واحد : هو الاسلوب .

ورغم ان المؤلف قد بذل مجهودا اكثر من ضخم لاخراج كتابه هذا الاخراج الرائع ، او لجعله لبنة من ذهب قوية التماسك شديدة البريق والجمال ورغم انه درس اكثر من مئتي كتاب من « الامهات » القديمة والحديثة ، فان الاحاديث تكاد تدور كلها حول لبنان ، ويكاد لبنان يكون الموضوع الاساسي ، ويكاد جمال لبنان يكون الشاغل الوحيد للمؤلف ، حتى ان مديرية الاصطياف تستطيع ان تأخذ متن هذا الكتاب ـ اذ ان حواشيه اكثر من المتن ـ وتجعل منها واحدا من منشورات الدعاية . ولا غرابة في ذلك ، فأمين نخله الشاعر يعرف كيف يجلو البراقع عن جمال « جنة الوطن العربي » وأمين نخلة الاديب البحاثة يعرف كيف يستنطق كبار ادباء العرب ، من امرىء القيس حتى احمد شوقي ، وينتقي شهاداتهم الموثوقة عن روعة لبنان وجماله ... او لم يقل كعب الاحبار : « جبل لبنان احد الاجبل الثمانية التي تحمل العرش يوم القيامة ، وأمسك عن ذكر السبعة الاخرى » ؟

ولكن ...

ولكن ألم ينفصل جبل لبنان عن أهليه ؟ ان مئات الالوف من عرب لبنان الذين زحفوا الى دمشق للابتهاج بعيد الوحدة العربية تشهد بأن كارثة الانفصال عن اهليه قد وصلت اقصى حدود النهاباتها . ام ان الاستاذ امين نخله لم يكتب ذات العماد للناس الذين يحبهم ؟ اسمعه يقول في خاتمة الكتاب : « لو لم يكن من فائدة للعقل ، وراء الشعر والادب ، الا هذه النزهة في الدنياوات التي لا وجود لها ، لكفى ... » .

وماذا تنفع هذه الدنياوات التي لا وجود لها ؟

أو ليس من الغريب ان ترد لفظة « ذهب » و « لبنان » عدة مرات في كل صفحة ،وان لا يرد ذكر « للاستعمار » مثلا ولو مرة واحدة في كل الكتاب ؟

ما نعلمه ان هذا الاديب المرهف العظيم من اصل ريفي ، وانه لا يزال يعيش وسط الريفيين . ولن نرجع الى « تحت قناطر ارسطو » لنقتطف لك مقاطع تدلك على مدى تعلق الاستاذ بالريف ، وانما سنقتطف للاستاذ زهرة من اشعار بيتس ، فلعل لغة الشعر هي المنظف الوحيد الذي يعيد الصفاء الى نظارته السميكة . يقول بيتس :

« تلوح الاشياء كلها قبيحة محطمة بالية .
صراخ طفل على جانب الطريق ، وزقيق مركبة عتيقة
وخطوات الفلاح الثقيلة الفائصة في وحل الشتاء
اشياء تزيف الصورة التي تتوهمها عن زهرة تتفتح في قلبك »

وبعد ، فان كنا قد شهدنا بأن « ذات العماد » كان وثيقة جديدة على براعة الاستاذ امين نخلة الادبية وطاقته الشعرية وأسلوبه الذي يصل حد الاعجاز ، فاننا نتساءل ، والحرقة تملأ نفوسنا : متى يجعل امين نخلة كل المواهب الجميلة تعيش في « دنيا لها وجود » ؟ متى يحدثنا عن لبنان ؟

ام أن امين نخلة لم يسمع بعد بالقسم العظيم الذي اقسمه ادباء لبنان، من شرفة قصر الضيافة ، على لسان المواطن رئيف خوري ؟

حماه **شريف الراس**

رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء

نشر دار صادر ودار بيروت

*

اذا ذكرت الآثار القديمة التي كانت بمثابة القمم الجبارة للفكر العربي رأيت « رسائل اخوان الصفاء » في طليعة هذه الآثار التي اجتمعت لها سعة الثقافة العربية والاجنبية ، وجهود الفكر الخلاق .

وهذه الرسائل هي نتائج فئة من العلماء تسترت ، وتألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، وجاءت رسائلهم شبيهة بدائرة معارف مرتبة تضم علوم ذلك العصر ، واكثر وجوه هذا الرقي الفكري اشراقا هو الوجه اليوناني ، وكان العقل العربي ، اذ ذاك ، لا يزال يستمد مما حوله من ثقافات وحضارات ، ولاسيما العقل اليوناني الذي وجد فيه العقل العربي رائدا له ، باعتبار انك لا ترى ثقافة قديمة يحترم فيها العقل كالثقافة اليونانية . والاسلام ، في كثير من مواقفه ، يدعو الى تقديس العقل ، ويستعين بالمنطق.

وقد كان هؤلاء العلماء المسلمون حريصين على ان يجمعوا بين الشريعة الاسلامية التي يدينون بها ، والفلسفة اليونانية التي اطلعوا عليها . وربما كانوا اول فئة حاولت التوفيق بين النزعتين ، ومن مبادئها قولها : « انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية ، والشريعة العربية فقد حصل الكمال » فالكمال ، اذا ، عند هذه الفئة ، هو التوفيق بين الدين والعقل الفلسفي . وهنا علة العلل .. ولقد رأينا ، من الفلاسفة ، من يميل الى العقل وترجيحه والقول بأحكامه ، وهذا المغزى نفسه يسمعنا على لسان هؤلاء الفلاسفة قوله :

كذب الظن : لا امام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء !

ومن العلماء من يميلون الى الشريعة باعتبارها وحيا اعلى من صوت العقل . ومنهم من يؤثر الفلسفة على الشريعة ـ كالمقدسي ـ باعتبار ان الشريعة طب المرضى ، والفلسفة طب الاصحاء . حتى اذا جاء المتصوفة شققوا هذا الموضوع ، وذهبوا الى تفضيل الاولياء على الانبياء ، باعتبار ان النبي يستقي رسالة من غيره ، بينما الولي يتبع الهام نفسه . فكأن

الولاية بمنزلة الفلسفة ، وكأن النبوة بمنزلة الشريعة (عن ابن عربي)

ويميل المحققون الذين درسوا « الرسائل » الى ان الحكمة اليونانية قد استوطنت الشرق عن طريق اخوان الصفاء . واخوان الصفاء هم جيل القرن الرابع الهجري ، فأين غزوات العقل اليوناني للثقافة الاسلامية في القرنين السابقين ؟ والمعروف ان الثقافة اليونانية بأشكال تراثها المختلفة بدأت تقتحم العقلية الاسلامية في اوائل العهد العباسي . ولا شك ان الكثير من معارضها المترجمة قد وجدت لها قرارا في هذه الامة الجديدة. ولكن قد يصح القول « ان رسائل اخوان الصفاء » قد استطاعت ان تركز « الفكر اليوناني » وما ابدعه في شتى المعارف العقلية والعلمية والفنية في هذه الرسائل تركيزا موجزا واضحا .

ومؤلفو هذه الرسائل جماعة صغيرة من الرجال تتكون من أربع طبقات، ولهم اتباع واعوان في كل بلد . وهم ينتظرون منذ الصغر حتى الكبر بحسب عقولهم . ويبدو ان هذا التقسيم هو طريق الى التغلغل باعتبار طريقتهم « رسالة » اصلاحية ، فلذلك يكون الاعتماد على الشبان اكثر لسلامة جوهرهم ، وسرعة تقبلهم .

ويذكر صاحب « تاريخ الفلسفة في الاسلام » : «وجملة القول فيارائهم انها مذهب جماعة مضطهدة ، فيها ما عانوه من آلام ، وما اختلج في نفوسهم من امل، وما تواصوا به من صبر.وهم يلتمسون في هذه الفلسفة الروحية سلوى لنفوسهم او تطهيرا لها . وهذه الفلسفة هي دينهم . وشعارهم المذكور ان يكون الواحد منهم مخلصا حتى الموت ، لاعتقادهم ان الموت في سبيل صلاح الاخوان هو الجهاد الصحيح، فأوجبوا على الانسان ان يساعد اخاه في هذه الحياة بكل ما يتسع له جهده ، فيجب على ذي المال ان يجعل للفقير حظا من ماله ، وعلى ذي العلم ان يعلم اخاه الجاهل . غير ان العلم ـ عندهم ـ خاصة على المستبصرين من افراد الطبقة العليا .. »

هذه رسالتهم من الناحية الاجتماعية ، وقد يكون فيها خير كثير للمجتمع ، لانها قائمة على اساس الارشاد والتعاون ، ولكن لماذا كانت هذه الفئة تتستر ؟ ولماذا عوملت بالاضطهاد ؟ الجواب على ذلك ليس بالعسير . فالعصر الذي نشأت فيه هو عصر عاصف بقلقه واضطرابه ودسائسه . فكان من المعقول جدا ان يرتاب الحكام في كل حركة تنهض، او فئة تقوم ، مهما ذهبت اليه هذه الحركة ، وهذه الفئة . وهم اشد ارتيابا حين تلبس الحركة زي الفلسفة ، وتدعو الى نهضة قائمة على اعمال الفكر . والرسائليون احوج ما يطلبون الابتعاد عن هذا الارتياب خشية ان يتهموا بالالحاد .

وهم ، في وعيهم الفكري، ارادوا من الفكر ان يثور ، وان يكون هو عنوان الثورة ، ولكنهم ارادوا ان تبقى هذه الثورة محدودة في التعاليم الفكرية ، ولم يدعوا ابدا الى الثورة على اولي الامر باعتبار ان الفكر متى تحرر كان ثورة قائمة بنفسها . فكان من مظاهر تفكيرهم المتحرر انهم راحوا يسعون الى تأويل الايات والاحاديث بحب هواهم ، وفي هذا تجرؤ على النصوص بهذا التأويل المقتسر . ومن مظاهر تفكيرهم السمح انهم لا يؤثرون مذهبا على مذهب ، بل يتقبلون جميع المذاهب والاديان ، ويرجعون بها الى مبدأ واحد . وهم ، في هذه الحالة يقتربون من معرفة الله على نمط صوفي خفي جرى عليه المتصوفة في تفهم الكون ، والايمان بوحدة الكون . فهل ، يا ترى ، هذه السماحة مظهر من مظاهر ايمانهم بوحدة الكون ؟ هل يجعلون المتضادات مؤتلفة في الاصل ، تصدر عن مبدأ واحد ، وعلة واحدة ، وعالم واحد ، ونفس واحدة ؟ ام هي مجرد تسامح فكري قادهم الى اللقاء مع المتصوفة الذين يقولون بصحة الاديان جميعا ؟ وعلى رأسهم الشيخ محي الدين بن عربي صاحب البيت المشهور :

ادين بدين الحب اني توجهت ركائبه ، فالحب ديني وايماني

وصاحب البيت الذي يجهر بوحدة الكون مع الاله :

فانظره في شجر ! وانظره في حجر

وانظره في كل شيء ، ذلك الله!

وقد اراد بعض فلاسفة الغرب ان يبنوا فلسفة خاصة على هذه الفكرة، منهم « سبينوزا » و « شيلنغ » القائل : « ان المطلق يرقد في النبات ، ويسكن في الحيوان، ويستيقظ في الانسان » . و « وفيكتور كوزان » الذي جعل من هذه الفلسفة طريقة له ومذهبا خاصا به .

على ان البعض شك في اسلامهم ، وحملوا رسالتهم على انها لون من الوان الالحاد . وساعد على هذا الحكم تكتم الجماعة في عقيدتها . ولكن هذا التكتم لا يجعلنا نسرع في هذا الحكم . لانهم اتخذوه مبالغة منهم في الحذر . ولذلك لم تلاحقهم الدولة ، وقد كان من حقها ان تلاحقهم لو رأت في سيرهم انحرافا عن سياستها او عقيدتها . ولكنها تركتهم وشأنهم، لان سلوكهم بين الناس لم يبد فيه اي اثر لاشتغالهم بالسياسة ، لما تحلوا به من فضائل الزهد في الدنيا ، والمحبة والوفاء .

واما مجموع رسائلهم فقد بلغ اثنتين وخمسين رسالة ، ورسالة . والاخيرة تدعى « الجامعة » الملخصة لكل ما ورد في الرسائل الاولى ، ومصادر علومهم التي استقوا منها انما تعتمد على كتب الوحي وكتب العقل . وهي الكتب المنزلة، والكتب الالهية . والرياضيات والطبيعيات ، والكتبا لطبيعية والفلكية . اما كتب الوحي تدفق من سماء الشرق، واما كتب العقل فقد انحدرت مع ثقافات الامم الاجنبية ، كاليونان والهند وغيرهم .

ففي القسم الرياضي ـ اليوناني ـ عالجوا الاعداد والمربعات وادخلوا فواصل الموسيقى ضمنها .

وفي القسم الطبيعي كانوا فطنين الى ما نسميه « مذهب النشوء والارتقاء » حين اشاروا الى قوة « التحول » في الطبيعة بين اعضائها « فالمعادن متصل اولها بالنبات وآخرها بالنبات . فخضراء الدمن ليست بشيء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ، ثم تصيبه الامطار وانداء الليل ، فيصبح بالغد كانه نبت وحشائش ،.. والنبات اخره متصل بالحيوان ، وكذلك اخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان » وهذا قول صريح في الاستحالات الطبيعية التي يبني عليها رجال الطبيعة مذهبهم في النشوء والارتقاء .

وفي قسم الآراء والديانات ، نراهم يحاولون التوفيق بين الدين والفلسفة ـ كما أشرنا ـ وجعلوا مذهبهم يستغرق المذاهب كلها . وكما قال ـ دي بور ـ ارادوا ان يضعوا دينا عقليا يعلو الاديان جميعا . وبه يتم التوفيق بين الشريعة والحكمة . ولكن فات « دي بور » ان يرى ان الجماعة لم تتخذ طريق العقل وحده الى غايتها ، ولو استخدمت العقل وحده لكان طريقها الى الفلسفةادنى، ولكنها سلكت طريق التصوف في طلب الحكمة ، وجعلت الايمان جناحا ، والعقل جناحا . وفي«الرسائل» « شطحات » صوفية كما يسميها المتصوفة لا تقل رحمة وحنانا عن آية شطحات اقسم بها كبار الصوفية . ومن ذلك رأيهم ان « التعذيب في جهنم مؤلم ، ولا يمكن ان يدوم ، وهو يجعل الناس يسيئون الظن برحمة الله وحنانه » والله ، قبل كل شيء ، هو رحمة وحنان ، ومثل هذه « الشطحة » ذهباليها رأس الصوفية الشيخ محي الدين بن عربي في

كتاب « الفتوحات المكية » ورأى ان الله ، بدافع الرحمة ، يخفف عن المعذبين ، فيجعل النار باطلا عملها ، وان كانوا في النار .

وجل ما يمكن القول في هذه الرسالة انها شبيهة ، الى حد بعيد ، بالمعلمة الفرنسية التي ظهرت في عصر الثورة ، تحمل البذور الاولى للعلوم والافكار ، الا ان هذه المعلمة كانت طليعة نهضة تريد ان تتفجر ، وتلك المعلمة جاءت في اعقاب نهضة كانت في طريق الذبول ، فهي تشتمل « على مجمل ما انتهت اليه علوم الاقدمين وعقائدهم ، ولئن فاتها العمق فما فاتها التوجيه الذي حكم عليها بالشهولة ، واليسر في العرض والتعبير . وتوجيههم لم يأت بطريقة العنف . « وانما مثل ما يقدمونه كمثل بستان يمر به المار ، فان اعجبه شيء اقتطعه .. وقيل له : « كل ما شئت ، وشم ما شئت ، واختر ما شئت ، وانظر كيف شئت ، وتنزه اين شئت »

وقد كتبت هذه الرسائل بلغة واضحة ، وتعابير لينة طيعة ، تجافت عن اللغة الفلسفية القاسية ، وبرئت من شوائب اللغة المترجمة . تستجيب لما يراد منها ، وتدل على نضج اصحابها فيما يفكرون وفيما يريدون .

وقيمتها العلمية قد تزول من ناحية « الحقيقة العلمية » لتطور هذه الحقيقة كل يوم . لكنها تبقى في انها اول كتاب عربي اشتركت فيه طائفة تدين بمذاهب معينة على نحو جديد لم يسبق اليه في اي ادب، تحمل معها التسامح العقلي ، وتنم على الثقافة الواسعة الخيرة .

جزى الله الناشرين لهذا الكتاب عن العقل العربي والتراث العربي خير الجزاء . لان عملهم هذا هو الذي يضع اللبنات الاساسية في سبيل دراسة الادب العربي والفكر العربي قبل العصور دراسة صحيحة ، متجردة ، موضوعية .

خليل الهنداوي

انا احيا

رواية تأليف ليلى بعلبكي

منشورات دار مجلة شعر ، بيروت ٣٢٨ ص

*

لا آتي بشيء جديد حينما اردد ما يكاد يجمع الناس عليه من انه ليس من احد يفهم نفسية الانثى ، امرأة او مراهقة ، مثلها هي. ولكن بمقدار ما نشعر بهذه الحقيقة ، نجد من الجهة الاخرى فراغا غريبا في الادب النسائي ، واحجاما عند حاملات الاقلام بيننا عن تشريح انفسهن(افكارهن وعواطفهن وامانيهن)بانفسهن،مما يتيح للرجل،الاديب او غير الاديب،والمجرب اوغير المجرب ان يقوم هو بذلك ، فيعجز عنه عجزا يتفاوت في الفشل بالنسبة الى مدى خبرة الرجل بالمرأة . ولذلك فنحن نبتهج لان نقرأ لقلم جديد غمست صاحبته بمداد اختبارها الحياتي . انه قلم ليلى بعلبكي ، اللبنانية ، في « انا احيا » .

« انا احيا » قصة فتاة تعرفنا على نفسها حيث هي تعرف نفسها ، وتدخلنا الى غياهب نفسها المجهولة حيث هي لا تعرف نفسها وتريد ان تعرف . اننا نقوم برحلة استكشافية داخل عالم عذراء ، وهو عالم مجهول، تقوم المؤلفة فيه بدور الدليل الخبير : الدليل الذي يشاركك في ما يعرفه ويحس به، ثم يشترك معه في البحث عما يجهله او يستعصي عليه فهمه دون ان يكتم ما يعرف او ان يزعم لنفسه ما لا يعرف ، كما يفعل ادلة المتاحف والاثار !..

انها قصة الفتاة الشرقية ـ ولاكن ادق واصرح: قصة الفتاة المسلمة الى حد بعيد ذات الحجاب المسدول على روحها وفكرها ، ان لم يكن حجابا مسدولا على وجهها وشعرها بالفعل . ذلك الحجاب الذي يفرضه المجتمع اليوم ، ومنذ عصور التحجر والانحطاط . انها قصة الكبت الذي تعيش الفتاة فيه ، فيحرم عليها ان تفكر او ان تحب حسب ما تريد هي ، لان « واجبها » ان تفكر وان تحب حسب ارادة ابيها او امها . انها قصة الحرية الضائعة التي تبحث الفتاة عنها ، وتنشدها في كل مكان ، لتبرهن بها لنفسها ولغيرها انها كيان بشري وليست اداة يستخدمها الرجل لصالحه ، سواء كانت هذه الاداة رفيقة او حبيبة او زوجة او ابنة . انها قصة بحث الفتاة عن مستقبلها ، لتضمن ان يبقى ذلك المستقبل لمصلحتها ولا يرسمه غيرها لها ، لان الفتاة الشرقية لا تثق بغيرها ، مهما كان هذا الغير قريبا منها . انها قصة الحب الشرقي الذي يولد من الفراغ ، وتتيه الفتاة ، معه، في عالم كالغريب عليها ، ثم يتبدد كالضباب المتقشع ، على الرغم من الشهوة التي تذكيه والامال التي تغذيه ...

تعلن ليلى بعلبكي في روايتها ثورة الفتاة الشرقية على واقعها . تثور على فراغ الحياة ، فلا حبيب يصمد ، ولا تسلية تلذ ، ولا بيت يمتع ، ولا اهل يتفهمون . وتثور على كل ما هو بال في علاقاتنا الاجتماعية ، وفي تفكير الناس . وتثور على زميلاتها اللاهيات بدون هدى ، الطامعات بالمال، الباحثات عنه في كل مكان . وتثور على الشاب العربي ، حتى الجامعي والمثقف الذي لا يفكر بفتاة الا وترتسم في مخيلته صورة سرير . وتثور على البيت لانه سجن كبير حتى ولو كانت قضبانه من ذهب ، ولانها تشعر به بيتا لاهلها وليس بيتا لها .

ابرز ما في هذه الثورة جرأتها . انها صراحة من نوع جديد لم نعهده في كاتباتنا العربيات : نازك الملائكة وصوفي عبدالله وفدوى طوقان وثريا ملحس ووداد سكاكيني : كلهن ، وغيرهن، عبرن عن امال المرأة او الفتاة والامها . ولكنهن لم يخرقن « التقاليد » التي خرقتها ليلى بعلبكي ، تقاليد الجنس بنوع خاص . فلم يهاجمن الرجل الذي يغمط « حتى » شريكته ويحرمها من نصيبها في متعة العلاقات الزوجية ، ولا اعترفن بان من احلام العذراء ان تجد من يرحق لعابها ويداعب نهديها .. كما فعلت ليلى بعلبكي.

انها صريحة لانها واقعية ، وواقعيتها تتعدى حدود ذكر الاسماء والمواقع فلا تنحصر واقعيتها في انها تذكر الجامعة الاميركية (مطعم فيصل ومقهى انكل سام في بيروت) . انها واقعية لانها عندما تذكر هذه « الحقائق » يشعر القارىء انه يعيش في قصة حية ، ويرافق انسانا حميما ، فيسير معه في الشارع ، ويدخل مكتبه وصفه ، ويشاركه في ارتشاف القهوة ومحادثة الامواج ، سواء كانت تلك الامور عند « فيصل » او في « الانكل سام » او في اي مكان اخر . انها الحياة التي تتدفق من الكتاب ، مثلما تتدفق من لوحة الجيوكندا فتبرزها على باقي الرسوم الخالدة . انها الوقائع الصغيرة ، بل التافهة ، التي تحصل لك ولي، اما عند ليلى فهي حجارة فسيفساء ، صغيرة او تافهة لوحدها ، ولكنها رائعة اذا جمعت ومسحت بلمسة فنية كما يمشح الكاهن الطفل بالزيت .

الفرق بين هذه الواقعية الفنية عند ليلى وبين الواقعية «الريبورتاجية» عند عدد من اديباتنا الاخريات هو ان ليلى ترسم موديلا عارية بريشتها ،

اما الاخريات فانهن يصورنها بآلة التصوير . ليلى تضع حياة ـ جزءا من حياتها هي ـ بينما ترسم . انها ، مثلا ، تصور الحرمان ، حرمانها الخاص (شدة ابيها وامها معها) ومنع الحرية في التصرف، ولكنها تصور حرمانا آخر ، حرمانا خاصا ايضا ، بصورة ثابتة ، مختلفة . ليلى فقيرة ، انها شبه محرومة ماديا . ولكنها تصور هذا الحرمان كأنه اكتفاء. تتحدث عن نفسها ، في الرواية ، كثرية ، كمليونيرة ، وتحتقر المال ، مع انها في الواقع تصف احتقارها المال الذي ليس لها، الذي هي في حرمان عنه. مثل ثان : تصف ليلى نهم الشباب لصدرها المثرثب ولساقيها المكتنزين. ووصفها هذا واقعي. ولكنه ليس مجرد تصوير فوتوغرافي، لان ليلى التي تعتز بجمال ساقيها (وتختبر ، كل يوم ، نهم الاعين الجائعة بهما) محرومة من الصدر الذي ينادي تلك الاعين لتعيره انتباهها . ولابد ان ليلى تفكر في صدرها الضامر مثلما تفكر بالاقسام الاخرى من جسمها ، الجميلة عكس صدرها .. ولا بد انها تشعر انها محرومة في هذه الناحية ، ان لم يكن دائما فعلى الاقل حينما تشاهد فيلما لجينا لولو بريجيدا ، مثلا ! ولكن ليلى واقعية حينما تتغزل بصدرها ـ التغزل المزعوم ـ مثلما هي حينما تتغزل ببشرتها او فخذيها او شعرها العابث ..

ثم ان ليلى واقعية ، وصريحة ، في ايمانها بالانسان ، وبالوطن ، وبالعروبة ، وبالاشتراكية . تخبرك ليلى بايمانها دون ان تتطفل عليك ، وتعرف انت مشاعرها الوطنية دون ان تكون حشريا . التزامها حي ، مثل واقعيتها . فلا تبذل عناء ولا تصطنع الاحداث لتخبرك انها تكره الاستعمار وانها تقدر بطولة مجاهدي الجزائر وبور سعيد . عواطفها الوطنية الانسانية تكمل باقي الصور الحية التي رسمتها في الكتاب ، وتلتحم معها بلا تكلف . فهي تشكو « مدير المؤسسة » التي تعمل عنده (اي صاحب الجريدة البيروتية الذي يتعامل مع الاستعمار) لانه يستلهم لندن وواشنطن في كتاباته مثلما تشكو حبيبها الذي تركها . وهي ترفض ان تبتاع «حمرة» باريسية يحول ثمنها الى رصاص يجندل ابطال العرب في الجزائر مثلما ترفض طلبات شاب لا تحبه . اي انك لا تحس ان ليلى تحاول ان تعظك وعظا قوميا عندما تحدثك عن احاسيسها القومية ...

وقد يوجه بعض اللوم الى ليلى لانها كانت حاسمة في وصف ابطال روايتها ، مع انها تركت لهم حرية الكشف عن انفسهم ، فجعلت السيء منهم سيئا من اول الرواية الى نهايتها ، وجعلت اللاهية او الغامض لاهية وغامضا دائما ، ولكن ربما يشفع لها ان مسرح روايتها التاريخي كان قصيرا جدا (عدة اشهر فقط) ، اي اقصر من ان تعطي لكل بطل مجالا حتى يبدل شخصية ، وحتى يبرز جوانب حياته الحسنة مثلما ابرز الجوانب السيئة ، وحتى ترعوي اللاهية عن لهوها ، وينجلي الغموض عن الغامض .

اما اللوم الاهم فنوجهه الى ليلى من ناحية اخرى. لقد مثلت لينا فياض (بطلة الرواية ، وشخصية ليلى بعلبكي نفسها كما تظهر في الرواية) دور الفتاة تمثيلا رائعا ، فهي كمراهقة تعلو على باقي المراهقات من حيث اتساع تفكيرها ، كانت تغيب احيانا في غياهب الخيال ، وتسبح في عالم الاحلام ، وتنسج من وقائع حياتها نظريات مطلقات ، الى ان تصدمها حقيقة ما (وقد تكون مجرد رؤية الحبيب او سماع صوته) فتعود الى الواقع ، الى العالم ، الى حقيقة كونها انثى حية ، امرأة ذات جسد وقلب ولحم ودم ، فتحن الى فراش يتمدد عليه رجل يمارس معها ما تدعوه «صناعة الاطفال» ، مثلت لينا فياض دور الفتاة التي فشلت كموظفة وطالبة وكاتبة وثرية وصديقة وابنة ، ولم يعد امامها الا ان تنجح في دور اهم : دور المرأة ... المرأة التي تريد ان تعطي ـ لا ان تعطي فكرا ولا فنا ولا عملا يدويا ولا مالا، بل ان تعطي طفلا ، طفلا تستودعه ما لديها من حب لزوجها وله وللحياة . الى هنا ولينا فياض (اي ليلى بعلبكي)موفقة ، بل ناجحة تماما .

ولكن ليلى تعود من انطلاقتها الرائعة التي بدأت بها (الانطلاق من المجتمع ونظرياته المهترئة والبالية) لتقع في الحلقة المفرغة ذاتها ، التي يرسمها المجتمع ، ولتدور فيها ، في تيه وضلال ـ مثلما تدور فيها باقي نساء المجتمع . وهنا خطأ ليلى بعلبكي ، الخطأ الاجتماعي لا الفني . لقد جعلت العطاء ـ عطاء الاطفال ـ هو حياة المرأة ، هو مبرر وجودها ، هو كيانها . « انا احيا » ، بالنسبة اليها تعني « انا اعطي » ، « وانا اعطي » تعني « انا احمل في احشائي طفلا : انا احبل » . وبذلك يتحول جهاد الفتاة الشرقية الى سعي لان ينتفخ بطنها !

لسنا ننكر على الشرقية حقها بالحب وبالحمل وبالتفكير بهما . ولكننا لا نريدها ان تنظر الى الحب والحمل بالنظرة نفسها التي ينظر الرجل اليهما بها . سر تعاسة المرأة الشرقية ان الرجل يعتبرها مجرد متعة للسرير ، واذا كانت المرأة تجارية في هذا التفكير ، فاي امل بالتحرر يبقى

صدر حديثا : عن دار الآداب

الشاعر الكبير نزار قباني

في دواوينه الثلاثة النافذة

أنت لي

سامبا

طفولة نهد

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

لها ؟ ما كانت ليلى بعلبكي تحبل « انا احيا » ثورة على المجتمع لو لم تكن نظرة الرجل الى الانثى انها للمتعة فقط ، ولكن ليلى الثائرة على هذا الوضع تعود فتعترف به ، وترجع الى بيتها ، بيتها الذي هربت منه ، ذليلة رافعة راية الاستسلام. لماذا ؟ لانها الاخرى تجعل شعارها « انا أحيا ، انا حبلى » ، لانها تنسى ان « صناعة الاطفال » ليست مبرر وجود المرأة اكثر مماهي مبرر وجود الرجل ، يمارس الرجل الزواج ولكنه لا يحيا للزواج . وتمارس المرأة الزواج ولكنها لا تحيا له ، وعلى المرأة ان تعترف بمجالات حياتها الاخرى للعطاء واللذة ، غير مجال الزواج الذي هو مجال واحد فقط للعطاء واللذة من مجموع مجالات كثيرة ، مثلما يعترف الرجل بوجود مجالات كثيرة في حياته للعطاء واللذة غير الزواج والى جانب الزواج.

« انا حبلى » لا تعني « انا احيا » بالضرورة . فليلى نفسها تصف صديقتها « الشامية » التي تحبل وتلد ولا تزال تتقيأ بعد كل مضاجعة مع زوجها . فهل يعني حبل تلك الصديقة انها تحيا ، الحياة التي تريدها ليلى بعلبكي ، ويريدها كل انسان يعتز بانسانيته ؟.

« وانا احيا » لا تعني « انا حبلى » فحسب . انها قد تعني ، ايضا ، انا انتج فكرا ، انا اكافح عدوا ، انا انصر ضعيفا ، انا ابني يتيما ، الخ.. نعم ، ان الانتاج او الكفاح او الاحسان لا يفترض الرهبنة والتنسك والعقرية الجسدية او المعنوية ، ولكن ، من جهة اخرى ، هذا الانتاج او الكفاح او الاحسان لا يفترض عدم الحياة والزوال والهباء اذا لم يقترن « بصناعة الاطفال » . وهذا ينطبق على المرأة مثلما ينطبق على الرجل.

ولو كانت الحياة هي الجنس ـ كما يفهم من نظرية انا احيا فانا احمل ـ ولو كان مجتمعنا يعيش في كابوس من الجنس ـ كما يفعل مجتمعنا اليوم ـ لما حق لنا ، والحالة هذه ، ان نلوم اجدادنا الجاهليين لانهم كانوا يئدون بناتهم ، ولكن علينا ان نعود الى ممارسة الوأد اراحة لمخاوفنا التي يزرعها هذا الكابوس في نفوسنا ، والتي تحصدها الفتيات الشرقيات علقما مرا ، في كبتهن ، وحرمانهن ، واحجبة الجسد والنفس .

وبعد ، ليلى بعلبكي امكانة كبرى . لن نسميها فرنسواز ساغان العرب ولا نريدها ان تكون فرنسواز ساغان العرب . نريدها ليلى بعلبكي ، وحسب . نريدها ان تحقق امكاناتها ، ادبية ومواطنة، فتاة تحب او تحلم بالحب وتتزوج او تحلم بالزواج ، ولكنها ، الى جانب ذلك ، تنتج فكرا او ادبا وفنا ، وتضع روائع من عيار « انا احيا » واحسن من «انا احيا» ويهم المؤرخ ان نصنع ليلى روائع كهذه او أحسن من هذه اكثر مما يهمه ان نصنع اطفالا !..

ولتحقق امكاناتها ، ولتتابع نتاجها الادبي الرائع ، على ليلى بعلبكي ان تعتبر نفسها انها على اول الطريق . وبمجرد ان تحسب انها قد وصلت الهدف او القمة تكون قد انتهت دون الوصول الى الهدف او القمة . ولا نريدها ان تنتهي لاننا نريد منها الكثير ، الكثير الجميل الممتع من نوع « انا احيا ».

انيس صايغ

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

حضرات مديري المدارس والاساتذة المحترمين

قبل ان تقرروا كتبكم المدرسية للعام الدراسي المقبل نرجو ان تطلعوا على سلسلات الكتب المدرسية الآتية :

سلسلة الجديد في القراءة العربية: جزءان لروضة الاطفال خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي : اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالورية)

سلسلة الاشياء والعلوم الجديدة : خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

سلسلة التربية الصحية في المدارس : جزءان لمرحلة التعليم الابتدائي والثانوي

السلسلة القصصية لطلاب الادب : ثلاثة اجزاء يحكى عن العرب والادب القصصي عند العرب

تاريخ لبنان الموجز : تأليف فواد افرام البستاني والدكتور اسد رستم

سلسلة القواعد العربية الجديدة : ثمانية اجزاء لصفي الشهادة الابتدائية والتكميلية

سلسلة الجديد في الجغرافية : ثمانية اجزاء لصفي الشهادة الابتدائية والتكميلية

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة ـ خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

Mon Nouveau livre de Grammaire

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

The New Direct English Course

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية ـ جزءان لمرحلة الروضة ـ اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة اجزاء

الخطوط العربية الجديدة في خمسة اجزاء لتعليم الخط العربي

خمسة اجزاء لتعليم الخط الانكليزي

New Script and Cursive Handwriting :

خمسة اجزاء لتعليم الخط الافرنسي

La Nouvelle Calligraphie Française

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية ـ حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافيا ، املاء افرنسي ، املاء انكليزي .